المحاضرة الخامسة: مواطنة المدن المستقلة: (التعاقدية) ومواطنة الحقوق

أولا: مواطنة المدن المستقلة:

- ✓ نمو الشعور العدائي نحو الكنيسة ووصف البابوية و الاتجاه نحو النظرة العلمانية للحياة ونظرة البورجوازية أو قيام الدولة القومية،
- ✓ الواقع الفكري والديني الذي كان سائدا جراء الممارسات الإستبدادية الكنسية الكاثوليكية مما عزز الشعور العدائي اتجاه الكنيسة بل واتجاه الدين أيضا مما ساعد على نمو الفكر العلماني والنظرة العلمية العقلانية اتجاه العلم.
- ✓ حركة الإصلاح الديني تقوية السلطة الزمنية لمواجهة سلطة الكنيسة
- ✓ تقوية نظرية الحق الإلهي للملوك وذلك بهدف تقوية نفوذهم

ظهرت لأول مرة المواطنة على يد جون بودان عدم أهلية العبد عند بودان لحمل صفة المواطنة

المواطنة عند جون بودان:

اعتبر بودان أن مسألة النساء و الأطفال مواطنين من باب أنهم لا يخضعون لأحد خضوعا مذلا كما هو العبد إلا أن حرياتهم وحقوقهم مرتبطة بسلطة التصرف في ممتلكاتهم تبقى محدودة بسلطة رؤساء الأسر لصنع عملية خضوع تصاعديا ، لنقول أن كل مواطن هو خاضع كرعية طالما أن حريته محدودة بقوة الحاكم الذي يدين له بالطاعة

تستخدم فكرة رؤساء الأسر لصنع عملية خضوعا تصاعديا من أسفل إلى أعلى بدءا بالفرد المواطن وصولا إلى الحاكم.

السيادة عند بودان هي السلطة المطلقة والمستمرة للدولة ، فرق بودان بين المواطن والأجنبي لا من حيث حيازة الحقوق من حيث الجهة التي يخضع لها المواطن فالمواطن لا يمكن أن يكون خاضعا لأكثر من عاهل واحد إلا إذا كان كلاهما عضوين في اتحاد واحدة أي أن تكون الدولة اتحادية من أكثر من امارة أو ولاية، لهذا يعتبر بودان أن خضوع الشخص لسلطة أخرى يحرمه من أن يكون مواطنا فيعامله معاملة الأجنبيين المعاملة تظهر من خلال خضوع وطاعة من جانب الإنسان الحر لعاهله

يرى بودان أن خضوع المواطن هو خضوع تعاقدي لا قسري العلاقة بين الرعية والعاهل أو المواطن والدولة هي علاقة تبادلية تعاقدية[1].

[1] _ أنظر حمدي مهران، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر .

✓ **نظرية الحقوق المطلقة:**

هوبز يرى أن تلك الحقوق المطلقة التي منحتها الطبيعة للآخرين هي تهديد لحياة الآخرين من حوله فالحق يعني الحرية في فعل الشيء أو الامتناع عن فعله بينما القانون يلزم ويقيد الإنسان بأحد الأمرين لذلك فالقانون والحق مختلفان بنفس درجة اختلاف الالتزام والحرية فكلاهما لا ينسجم مع الآخر. لذلك يرى هوبز أن في إبرام العقد إرساء لقانون ما أي إعلاء القانون على الحق .

ثانيا: مواطنة الحقوق:

يرجع مفهوم مواطنة الحقوق إلى قرابة قرنين من الزمان من منتصف القرن الثامن العشر إلى منتصف القرن العشرين، إن مفهوم المواطنة التعاقدية السابق قد امتد في تطويره على مبدأ الحقوق الطبيعية الذي كان منتشرا خلال القرن السابع عشر في العديد من الكتابات السياسية خاصة عند فلاسفة العقد الإجتماعي.

فقد تكلم في البداية هوبز عن الحقوق الطبيعية فوصفها أنها تلك الحرية التي يتمتع بها الإنسان في فعل ما يحقق له البقاء في الوجود أما جون لوك فإنه قد لخص تلك الحقوق في ثلاث : حق الحياة، وحق الحرية، وحق الملكية ، كذلك فقد تناول تلك الحقوق كل من اسبينوزا ومونتسكيو وآخرين.

الواقع أن مفهوم المواطنة قد تأثر خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بالعديد من الأحداث السياسية التي ساعدت على تشكيله في تلك الصورة الحقيقية.

ولعل الحدث الأهم في أوروبا خلال تلك الفترة هو قيام الثورة الفرنسية سنة 1789 و التي اهتمت بمسألة المواطنة كجزء لا يتجزء من مبادئ الدولة القومية، فقد اكتشفت كل من مفهوم الدولة القومية والمؤسسات الحديثة، وإيديولجيا المواطنة القومية... وخلال القرنين التاليين أصبحت المواطنة والقومية مرتبطتين بشكل وثيق وقد صاغت الثورة الفرنسية فكرة المواطنة في صورة حقيقية عندما قدمت مبادئها في بنود مرتبة أطلقت عليها اسم إعلان حقوق الإنسان والمواطن معتمدة في ذلك على رواج مفهوم حقوق الإنسان الذي تطور من فكرة الحقوق الطبيعية القديمة، خاصة بعد نجاح الثورة الأمريكي سنة 1776 وانتشار الكتابات التي تعبر عن النظر للإنسان بوصفه الكائن وصاحب الملكات العليا وسيد العالم ويرسخ الإعلان السابق لمجموعة من الحقوق السلبية التي تعبر عن عدم الارتكاب الدولة لما يمنع المواطن من أن يمارس تلك الحقوق ، إذ أن فكرة وضع نظام إيجابي _ فكرة إستطاعة المواطن أن يطالب الدولة بتأدية الخدمات لم تظهر إلا فيما بعد [2].

[2] _ أنظر نفس المرجع السابق.

وقد أعطى الإعلان السابق أساسا قويا لفكرة حقوق المواطنة ولفكرة حقوق الإنسان، بل إنه أعطى أساسا أيضا لفكرة الواجب المقابلة لفكرة الحق، فما هو حق لي كإنسان، هو حق لإنسان آخر أيضا وبالتالي هو واجب عليا نحوه. أي أننا يمكن أن نقول أنه كان اعلانا لحقوق وواجبات المواطن الإنسان،

والحقيقة أن مفهوم المواطنة وحقوقها قد انتشر بمساعدة رجال الطبقة البرجوازية الرأسمالية والتي كانت قد قويت شوكتها في أوروبا منذ نجاح الثورة الإنجليزية المجيدة 1688. والتي قامت تلك الطبقة بالثورة و الإنقلاب ضد الملك جيمس الثاني ، مما صبغ هذا المفهوم الحقوق للمواطنة بصبغة فردية ليبرالية ضلت تلازمه حتى القرن العشرين.

وتتلخص تلك الرؤية الأخلاقية للتيار الليبرالي الفردي في إعطاء الإنسان القيمة الأعلى بين الكائنات ووضع الفرد قبل الدولة، وحقوقه قبل أي شيء.

كذلك فقد استلهم التيار الليبرالي في تعامله مع المواطنة الحقوقية أفكار ومبادئ الفيلسوف الإنجليزي جون لوك بحقوق مسألة دولة الحد الأدنى أو الدولة التي تسهر على توفير حقوق المواطنين وتحرس على سيادة القانون دون أن تتدخل في حياة الأفراد واختياراتهم.

فبالنسبة لليبرالية الكلاسيكية، كانت الحقوق هي العدو الأول لحقوق الإنسان وأصبح شعار الليبراليين الدولة التي تحكم أقل تحكم أفضل. فكلما ابتعدت الدولة عن التدخل في شؤون الأفراد كانت تقوم بعملها على الوجه الأكمل من وجهة نظرهم.

ومن جانب آخر رسخت تلك الفردية الليبرالية لكون مسألة حقوق الإنسان مسألة فردية وليست جماعية وإذا كانت حقوق الإنسان هي تلك الحقوق التي يمتلكها الفرد ببساطة باعتباره بشرا بالتالي فإن الفرد وحده هو الذي يملك هذه الحقوق ... فالحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية، بالإضافة إلى الحقوق المدنية والسياسية هي حقوق أفراد، وهو ما يعني أن كل مواطن داخل الدولة يمكنه أن يطالب بحقوقه، أو أن يجائر بالشكوى من الظلم كونه حاصلا على المبدأ الحقوقي بشكل فردي لا جماعي.

وبهذا تصبح طبيعة الروابط بين الدولة والمواطن طبيعة فردية أي أن هناك روابط بين الدولة وبين كل فرد فيها يساوي عدد ما في الدولة من مواطنين ، وأن تلك الدولة تقوم على مبدأ أساسي ألا وهو: المواطن أولا، وهكذا تشكلت حقوق الإنسان كمطلب لجميع الأفراد ضد الدولة بشكل أساسي، وهي علاقة مبنية على الأولوية البديهية للفرد على الدولة في تلك المجالات التي تحميها حقوق الإنسان[3]

[3]_ حمدي مهران، المواطنة والمواطن في الفكر السياسي ـ دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر .